خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ١ ربيع الآخر ١٤٣٨ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله، يا معاشر المؤمنين:

إن الملائكة -وهم الملأ الأعلى- ليختصمون ويتراجعون الكلام في أمر عظيمٍ فضلُه، كثيرٍ أجرُه، أعدّ الله فيه للمؤمنين أجورًا عظيمة ومكارم كثيرة، ولذا يختصم فيه الملأ الأعلى.

فقد قال الله ﷻ لنبيه في منامه ﷺ: «أتدري فيمَ يختصم الملأ الأعلى؟»، فقال ﷺ: «في الكفارات»، قال: «وما هنّ؟» قال: «مشي الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء في المكروهات، ومن يحافظ عليهنّ عاش بخير ومات بخير، وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه»، قال: «ثم فيمَ؟»، وفي رواية: «والدرجات؟» فقال ﷺ: «إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام».

إن الملائكة -يا عباد الله- لتختصم في الكفارات، والكفارات -يا عباد الله- هي التي تُمحَى بها الذنوب الصغائر، فهذه الكفّارات فيها فضلٌ عظيم ومقامٌ كريم لأمة محمد ﷺ، فالعبد المؤمن -يا عباد الله- قد يُذنِب، وقد يقع في الخطايا، ويقع في الذنوب الصغائر، فيتفضّل الله عليه ﷻ بأمور يغفر له بها ذنبه، ويرضى بها عنه ﷻ.

ومن أعظم هذه الأمور: هذه الكفّارات التي وردت في هذا الحديث، وهذه الثلاث -يا عباد الله- أعظم فضلِهِنّ أَنَّهُنّ كفّارات، وإلا فهُنّ أيضًا ممّا تُرفَع به الدّرجات في الجنة، قال نبيّنا ﷺ: «ألا أدلّكم على ما يمحو به الله الخطايا، ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله! فقال ﷺ: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط».

ما هذه الكفارات؟

أوّلهن: مشي الأقدام إلى الجماعات.

فالعبد المؤمن يُحبّ أن يمشي إلى بيوت الله، لأنّه يحب الله عزّ وجلّ، وهذه بيوت الله فيحبّها، ولأنّها أحبّ البلاد إلى الله، والمؤمن يحبّ ما يحبّه الله عزّ وجلّ، فيحبّ المؤمن أن يسعى إلى المساجد.

وفي السعي إلى المساجد -يا عباد الله- فضل كريم، وأجر عظيم، فالساعي إلى المساجد تُكفَّر عنه صغائر الذنوب، فلا تبقى عليه صغيرة، بل تُغسل الصغائر عنه غسلاً، وتُرفع له الدرجة في الجنة، وتَعظُم له الحسنات.

يقول النبي ﷺ: «إذا توضّأ المسلم فأحسنَ الوضوء، ثمّ خرج إلى المسجد لا يُخرِجه إلى الصّلاة، لم يخطُ خُطوة إلا رُفعت له بها درجة، وحُطّ عنه بها خطيئة».

ولذا قال النبي ﷺ: «إنّ أعظمكم أجرًا أبعدكم دارًا»، وذلك -يا عباد الله- من أجل كثرة الخُطى إلى المساجد.

النبي ﷺ بيّن لك -يا عبد الله، يا أيها المؤمن- أنّك في طريقك إلى المسجد تَجنِي الحسنات بخُطواتك إلى المسجد، فقال ﷺ: «إذا تطهّر الرجل ثم أتى المسجد يرعى الصلاة، كَتَبَ له كاتباه -أو كاتبُه- بكلّ خُطوة يخطوها إلى المسجد عشر حسنات»، فالمؤمن كلّما خطا خطوة إلى المسجد كتب الله له بها عشر حسنات.

بلهَ -يا عبد الله- إنّ الأمر أعظم، إنّك إن عُدتَ من المسجد إلى بيتك، إنه تُكتب لك بذلك الحسنات، يقول النبي ﷺ: «من راح إلى مسجد الجماعة فخطوة تمحو سيئة، وخطوة تُكتب له حسنة، ذاهبًا وراجعًا»، ذاهبًا وراجعًا!

فأنت -يا عبد الله- إذا ذهبت إلى بيت الله، كلّما وضعت قدمًا رفع الله لك درجة، فإذا وضعت الأخرى محا الله بها عنك سيئة، والله يضاعف لمن يشاء ﷻ.

بل إنك -يا عبد الله- إذا ذهبت إلى المسجد أعدّ الله ﷻ لك نُزُلاً ومكان ضيافة في جنة رب العالمين، يقول النبي ﷺ: «من غدا إلى المسجد أو راح أعدّ الله له في الجنة نُزُلاً كلّما غدا أو راح».

وأنت -يا عبد الله- إذا كنت من المشّائين إلى المساجد فأبشر ثم أبشر ثم أبشر بنورٍ تامٍّ يوم القيامة، يقول النبي ﷺ: «إن الله ليُضيء للّذين يتخلّلون إلى المساجد في الظُّلَم بنورٍ ساطعٍ يوم القيامة»، بنورٍ ساطعٍ يوم القيامة!

بل أنت -يا عبد الله- إذا توضّأت في بيتك، ثم خرجت إلى المسجد مُخلِصًا لله ﷻ، تريد بيت الله، فإنّ الله يُكرمك بأن يكتب لك وأنت في بلدك أجر الحاجّ المحرم، يقول النبي ﷺ: «من خرج من بيته مُتَطَهِّرًا إلى صلاة مكتوبة، فأجره كأجر الحاجّ المُحرِم»، فأجره كأجر الحاجّ المُحرِم!

بل أنت -يا عبد الله- إذا كنت من المشّائين إلى المساجد فإنّك ضامنٌ الخير على الله ﷻ، إن عِشتَ عِشتَ موفور الرزق مَكفِيًّا من كلّ شرّ، وإن مِتَّ مِتَّ على خير، يقول النبي ﷺ: «ثلاثة كلّهم ضامن على الله، إن عاش رُزق وكُفِي، وإن مات أدخله الله الجنة».

من هم هؤلاء الثلاثة؟ إنّ قلوب المؤمنين لتشتاق إليهم، يقول ﷺ: «من دخل بيته فسلّم فهو ضامنٌ على الله، ومن خرج إلى المسجد فهو ضامنٌ على الله، ومن خرج في سبيل الله فهو ضامنٌ على الله».

بل إنك -يا عبد الله- إذا مشيت إلى المسجد فإنّ الله يفرح بك.

الله أكبر! ربي الكريم يفرح بي! أَجَل يا عبد الله، إنّ ربّك الكريم يفرح بك إذا كنت مُقبِلاً على بيت من بيوته، يقول النبي ﷺ: «لا يتوضّأ أحدكم فيُحسن وضوءه فيُسبغه، ثمّ يأتي المسجد لا يريد إلا الصلاة فيه، إلا تَبَشْبَشَ الله إليه كما يَتَبَشْبَشُ أهل الغائب بطلعته».

وإنك -يا عبد الله- تتصدّق بهذه الخطوات، فإنه يُكتب لك بكل خطوة إلى المسجد صدقة، يقول النبي ﷺ: «وبكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة».

الله أكبر يا عباد الله! ألا تسمعون هذا الفضل الثابت الصحيح من أحاديث رسول الله ﷺ؟ فقل لي بربك أيها المؤمن -قل لي بربك أيها المؤمن!- أَيَليقُ بِمُؤمِنٍ قد سمع هذا الفضل أن يتخلّف عن صلاة الجماعة وألا يكون من المشّائين إلى المساجد؟ لا والله، ثم لا والله، لا يليق به ذلك.

وأما الكفّارة الثانية: فهي الجلوس في المساجد بعد الصلوات.

المؤمن يحب بيت الله، ولذلك جاء عن بعض السلف أنه لما أراد أن يخرج من المسجد من غير شُغل ولا حاجة قال لنفسه: أين تريدين الذهاب؟ أتريدين رؤية بيت فلان وفلان؟ هذا بيت الله فالزميه!

يقول النبي ﷺ عن المؤمن إذا توضأ فأحسن الوضوء: «فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مُصّلاه: اللهم صلّ عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة»، فالعبد المؤمن إذا بقي في المسجد بعد أن صلّى فإنّ الملائكة تصلي عليه، أي تدعو له: اللهمّ ارحمه، وفي رواية: اللهمّ اغفر له، اللهمّ تب عليه.

الله أكبر يا عبد الله! ما أعظمها من منزلة، ما أعظمها من منزلة! فإذا بقي في مُصَلّاه ينتظر الصلاة الأخرى، فإنّه يُجرى عليه أجر الصلاة ما دام في مُصلّاه ينتظر الصلاة.

بلهَ -يا عبد الله، يا أيها المؤمن- اسمع بشارة عظمى من رسول الله ﷺ، حيث قال: «والقاعد يَرعَى الصلاة كالقانت»، أي أنّ القاعد في المسجد ينتظر الصلاة كالقائم الذي يصلّي في الأجر، ويُكتَب من المصلّين، من حين يخرج من بيته حتى يرجع إليه.

فأنت -يا عبد الله- إذا قصدت المسجد لتصلّي فإنّ أجر الصلاة يُجرَى عليك من حين أن تخرج من بيتك إلى أن تَصِلَ المسجد إلى أن تصلّي، فإذا بقيت في المسجد فأنت مُصَلٍّ إلى أن ترجع إلى بيتك.

بل إنّك -يا عبد الله- إذا صلّيت صلاة ثم انتظرت الصلاة الأخرى، جَنَيتَ كتابًا، وما أدراك ما هذا الكتاب؟ كتاب في علّيّين، كما قال ﷺ: «وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتابٌ في علّيّين».

بل -يا عباد الله- إنّ الجالس في المسجد ينتظر الصلاة بعد الصلاة كالمُرابط في سبيل الله ﷻ، ورباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها، ورباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم في منزل سواه.

الله أكبر يا عباد الله! ما أعظم هذا الفضل! وهو الرباط الأكبر، يقول النبي ﷺ: «منتظرُ الصلاةِ بعد الصلاة كَفارِسٍ اشتَدَّ به فرسُه في سبيل الله، وهو في الرباط الأكبر».

وأما الكفارة الثالثة: فالوضوء في المكروهات، وفي رواية: فالوضوء على المكروهات.

قال بعض أهل العلم: معنى هذه الجملة: أنّ المؤمن إذا نزلت به مصيبة أو نزل به بلاء، فإنّه يفزع إلى الوضوء، يتوضّأ ويصلي، ليستعين بذلك على هذه المصيبة، فيستعين بالصبر والصلاة على مصيبته.

وقال بعض أهل العلم: بل معنى هذه الجملة: أنه يتوضأ ويُسبِغ الوضوء مع شدّة البرد، فإذا اشتدّ البرد من غير أن يَضُرَّه فإنّه يتوضأ ولا يبالي بشدّة البرد، بل يُسبغ وضوءه ويُتِمّه، ولذا كان جزاؤه أن تُكفَّر ذنوبه وأن تُرفع درجته.

والوضوء -يا عباد الله- يُكفِّر الذنوب، ويَخرُج به المؤمن من ذنوبه، فمن توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره.

الله أكبر يا عباد الله! إنها ثلاث كفّارات اختصم فيهنّ الملأ الأعلى، فحقيقٌ بك -أيها المؤمن- وجدير بك -أيها المؤمن- أن تحفظهنّ، وأن تفهمهنّ، وأن تعمل بهنّ، لعلّك أن تكون من المفلحين.

فاتقوا الله عباد الله، وافرحوا بِكَرَمِ الله عليكم وما تفضّل به عليكم، وكونوا من العاملين به، لعلّكم تُرحَمون.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، أمّا بعد فيا عباد الله:

إنّ الدرجات التي يختصم فيهنّ الملأ الأعلى: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام.

هذه الثلاث -يا عباد الله- تُرفع بها الدرجات في الجنة، بل إنّ الله أعدّ لأصحابهنّ غُرَفًا في الجنّة، وصفهنّ النبي ﷺ فقال: «إنّ في الجنة غُرَفًا يُرَى باطنُها من ظاهرِها، وظاهرُها من باطنِها، أعدّها الله لمن أطعم الطعام، وألان الكلام» -وفي رواية: «وأطاب الكلام»- «وصلّى بالليل والناس نيام».

الله أكبر يا عباد الله!

إطعام الطعام من صفات عباد الله الأبرار، الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:٨].

إطعام الطعام -يا عباد الله- من صفات الخيار، قال النبي ﷺ: «إن من خياركم من أطعم الطعام».

وإنّ الله -يا عباد الله- قد فتح لكم بابًا عظيمًا في هذه الأيام إلى هذه المنقبة العظمى، وذلك بدعوة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز -حفظه الله ﷻ، وزاده توفيقًا، وزاده حُبًّا للإسلام والمسلمين- بالتبرع لإغاثة إخواننا في حلب خاصّة وفي سوريا عامّة، ولا عذر لنا يا عباد الله، فإن الأمر جدُّ يسير، فمن وجد شيئًا فليتبرّع لإخوانه.

الواحد منكم -يا عباد الله- يستطيع أن يتبرّع لإخوانه وهو جالس في بيته، عن طريق إرسال رسالة نصية إلى رقم: ٥٥٦٥[1]، فأنت -يا عبد الله- وأنت جالس في بيتك تستطيع أن تتبرّع لإخوانك، وكلّما زادت الحاجة كلّما عظم الفضل، فنعوذ بالله من البخل، ونعوذ بالله من خُذلان إخواننا.

وأما الدرجة الثانية: فلين الكلام، وهو حسن القول للناس، الذي أُمرنا به، والكلمة الطيّبة صدقة.

وأما الدرجة الثالثة: فهي الصلاة بالليل والناس نيام.

[1] هذه الخدمة خاصة بشرائح الاتصال السعودية.

صلاة الليل -يا عباد الله- دأبُ الصالحين في جميع الأمم، وشعار الصالحين في أمّة محمد ﷺ، ولذّتهم ونعيمهم، وهي من أعظم مفاتيح الجنة.

فالله الله عباد الله! تدبّروا فيما أخبركم عنه رسول الله ﷺ.

ولنا إن شاء الله ﷻ مع هذه الدرجات الثلاث وقفات مُفصَّلات في خطبتنا القادمة إن شاء الله، وذلك لِمَسيس الحاجة في زماننا إلى فقهها والتذكير بها، لعلّ الله ﷻ أن يُكرِمنا في هذا الزمن -في زمن الغفلة- أن نكون من أهلها، فنفوز بتلك الغُرَف التي أعدّها الله ﷻ لأهلها.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أنّ الله أمرنا بأمرٍ عظيمٍ، بدأ فيه بنفسه، ثمّ ثنّى بملائكته، فقال -عز من قائل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال ﷺ: «من صلَّى عليّ صلاةً واحدة صلّى الله عليه بها عشرًا».

فاللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ، وسلِّم تسليمًا كثيرًا، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين يا رب العالمين.

اللهمّ ارزقنا فعل الخيرات وترك المنكرات وحُبّ المساكين.

اللهمّ يا ربّنا، اغفر لنا وارحمنا، وإذا أردت بعبادك فتنةً فاقبضنا إليك غير مفتونين.

اللهمّ ارزقنا حُبَّك وحُبَّ من يُحِبُّك، وحُبَّ كلّ عمل يُقَرِّبُنا إلى حُبِّك يا رب العالمين.

اللهمّ اجعلنا من الأبرار الخيار، اللهمّ اجعلنا من الأبرار الخيار، اللهمّ اجعلنا من الأبرار الخيار.

اللهمّ ارزقنا قلوبًا سليمة، اللهمّ ارزقنا قلوبًا سليمة، اللهمّ ارزقنا قلوبًا سليمة.

اللهمّ اجعلنا من البارّين، اللهمّ اجعلنا من الواصلين، اللهمّ اجعلنا من المحسنين، اللهمّ إنا نعوذ بك من صفات الأشرار، اللهمّ إنا نعوذ بك من صفات الأشرار ومن كَيد الفُجّار يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، اللهمّ يا ربنا، إنك أعلم بحالنا، اللهمّ إنك ترانا وتسمع كلامنا، وتعلم ما في صدورنا، وأنت أعلم بنا منّا، اللهمّ إنا عباد من عبادك، قد اجتمعنا في مسجد من مساجدك، نؤدّي فريضة من فرائضك، قد حَمَلْنا الذّنوب وأكثرنا السيئات، وأنت يا ربنا غفور رحيم، اللهمّ فاغفر لنا أجمعين، اللهمّ اغفر لنا أجمعين، اللهمّ اغفر لنا أجمعين، اللهمّ ارحم ضعفنا وإسرافنا في أمرنا، واغفر لنا وتجاوز عنّا يا رب العالمين.

ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولأهلنا ولأحبابنا ولجيراننا وللمسلمين والمسلمات يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا من علمته منّا مُقيمًا على طاعة فتقبّل منه، وأكرمه، وثبِّته، وزِده يا رب العالمين، ومن علمته منّا مُقيمًا على معصية اللهمّ فطهّره منها، اللهمّ فطهّره منها، اللهمّ فطهّره منها.

اللهمّ أنقذنا من سوء الحال يا رب العالمين، اللهمّ غيِّر حالنا إلى ما تُحبّ وترضى وزدنا من فضلك، وزدنا من خيرك، وزدنا من بركاتك يا رب العالمين.

اللهمّ أنقذ المستضعفين في كلّ مكان، اللهمّ أنقذ المستضعفين في كل مكان، اللهمّ أنقذ المستضعفين في كل مكان.

اللهمّ إنّ المجرمين قد طغَوا وتجبّروا وتكبّروا وآذوا إخواننا في سوريا، اللهمّ فخذهم أخذ عزيز مقتدر، اللهمّ فخذهم أخذ عزيز مقتدر، اللهمّ فخذهم أخذ عزيز مقتدر.

اللهمّ سلِّم سوريا لأهلها من أهل الكفر وأهل البدع والأهواء والخوارج يا رب العالمين، اللهمّ أعِدْها أرضًا آمنةً يُقام فيها التوحيد، يُقام فيها التوحيد، وتُعبدُ فيها يا رب العالمين.

اللهمّ أكرم إخواننا في كلّ مكان بالأمن والأمان يا رب العالمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلّى الله على حبيبنا ونبيّنا وسلّم.